فقال : فأوْجِدْنِي هذا خبراً أو شيئاً في معناه ليكون هذا قياساً عليه ؟ .

[ص 361] فقلتُ له : فَرَضَ اللهُ الجِهادَ في كتابه وعلى لسانِ نبيّه ثم أكّدَ النّفِير مِن الجهاد فقال : " إِنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمْ الْجَنّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّاً فِي التّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالقُرآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) " [التوبة] .

وقال : " وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافّةً وَاعْلَمُوا أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ (36) " [التوبة] .

وقال : " فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصّلاةَ وَآتَوْا الزّكَاةَ فَخَلّوا سَبِيلَهُمْ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) " [التوبة] .

وقال : " قَاتِلُوا الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرّمُونَ مَا حَرّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقّ [ص 362] مِنْ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) " [التوبة] .

أخبرنا " عبد العزيز " عن " محمد بن عمرو " عن " أبي سَلَمَةَ " عن " أبي هريرة " قال : قال رسولُ الله : " لاَ أزَالُ أُقَاتِلُ النّاسَ حَتّى يَقُولُوا لاَ إلَهَ إلاّ اللهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاّ بِحَقّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ " (1) .

وقال الله - جَلّ ثناؤه - : " مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؟ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلّا قَلِيلٌ (38) إِلّا تَنفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) " [التوبة] .

وقال : " انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ [ص 363] وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (41) " [التوبة] .

قال : فاحتملت الآيات أن يكون الجهاد كلُّه والنفيرُ خاصة منه : على كل مُطِيقٍ له لا يَسَعُ أحَدًا منهم التخَلُّف عنه كما كانت الصلوات والحجُّ والزَّكاة فلم يخرج أحَدٌ وَجَبَ عليه فرْضٌ منها مِنْ أنْ يؤدِّيَ غيرُهُ الفرْضَ عن نفسه لأنَّ عَمَلَ أحَدٍ في هذا لا يُكْتب لغيره .

واحتملت أن يكون معنى فرْضِها غيرَ معنى فرْضِ الصلوات وذلك أن يكون قُصِدَ بالفرض فيها قصْدَ الكِفاية فيكونَ مَن قام بالكفاية في جهاد مَنْ جُوهِدَ مِن المشركين مُدْرِكًا تأديةَ الفرض ونافِلَةَ الفضْل ومُخْرِجًا مَن تَخَلَّفَ مِن المَأْثَمِ .

ولمْ يُسَوِّ (2) اللهُ بينهما فقال : " لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [ص 364] بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) " [النساء] فأما الظاهر في الآيات فالفَرْضُ على العامَّة .

_____ .

(1) البخاري : كتاب الإيمان / 24 مسلم : كتاب الإيمان / 32 الترمذي : كتاب تفسير القُرآن / 3264 النسائي : كتاب تحريم الدم / 3908 .

(2) هكذا هي بإثبات الياء وقدمنا مراراً أنه جائز